قوم حزقيل

نسبهم

كانوا من بني اسرائيل، والنبي حزقيل: عن ابن إسحاق قال: إنما سمي حزقيل بن بوزي ابن العجوز، أنها سألت الله الولد، وقد كبرت وعقمت، فوهبه الله لها، فبذلك قيل له ابن العجوز[1].

موقعهم الجغرافي

عن جماعة من أصحاب النبي ﷺ: كانت قرية يقال لها: (داوران) قبل واسط[2].

صفاتهم الخوف

حياتهم

قال وهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أصاب ناسًا من بني إسرائيل بلاء وشدة من الزمان، فشكوا ما أصابهم، فقالوا: يا ليتنا قد متنا فاسترحنا مما نحن فيه. فأوحى الله إلى حزقيل: إن قومك صاحوا من البلاء، وزعموا أنهم ودوا لو ماتوا فاستراحوا، وأي راحة لهم في الموت، أيظنون أني لا أقدر على أن أبعثهم بعد الموت؟ فانطلق إلى جبانة كذا كذا، فإن فيها أربعة آلاف. قال وهب: وهم الذين قال الله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ فقم فيهم فنادهم، وكانت عظامهم قد تفرقت فرقتها الطير والسباع، فناداها حزقيل، فقال: يا أيتها العظام النخرة، إن الله عز و جل يأمرك أن تجتمعي. فاجتمع عظام كل إنسان منهم معًا، ثم نادى ثانية حزقيل، فقال: أيتها العظام إن الله يأمرك

(١). انظر: تاريخ الطبري (١/٢٧١-٢٧٣).

(٢). انظر: عود على بدء في جبلة اليهود (١/٤/٢٣٦).

أن تكتسي اللحم. فاكتست اللحم، وبعد اللحم جلدًا، فكانت أجسادًا، ثم نادى حزقيل الثالثة، فقال: أيتها الأرواح إن الله يأمرك أن تعودي أجسادك. فقاموا بإذن الله، وكبروا تكبيرة واحدة.

وعن ناس من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ﴾ كانت قرية يقال لها: داوردان قبل واسط، فوقع بها الطاعون فهرب عامة أهلها، فنزلوا ناحية منها، فهلك أكثر من بقي في القرية، وسلم الآخرون، فلم يمت منهم كثير، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين، فقال الذين بقوا: أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا، لو صنعنا كما صنعوا بقينا، ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن[1] فوقع في قابل فهربوا، وهم بضعة وثلاثون ألفًا حتى نزلوا ذلك المكان، وهو واد أفيح، فناداهم ملك من أسفل الوادي، وآخر من أعلاه: أن موتوا. فماتوا حتى هلكوا، وبليت أجسادهم، فمر بهم نبي يقال له: هزقيل، فلما رآهم وقف عليهم، فجعل يتفكر فيهم، يلوي شدقه وأصابعه، فأوحى الله إليه: يا هزقيل أتريد أن أريك كيف أحييهم؟ قال: نعم. وإنما كان تفكره أنه تعجب من قدرة الله عليهم، فقال: نعم. فقيل له: ناد. فنادى: يا أيتها العظام إن الله يأمرك أن تجتمعي. فجعلت العظام يطير بعضها إلى بعض، حتى كانت أجسادًا من عظام، ثم أوحى الله: أن ناد يا أيتها العظام، إن الله يأمرك أن

(١). انظر: تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، دار الكتب العلمية، بيروت (٢٧١/١).

تكتسي لحمًا. فاكتست لحمًا ودمًا، وثيابها التي ماتت فيها وهي عليها، ثم قيل له: ناد. فنادى: يا أيتها الأجساد إن الله يأمرك أن تقومي. فقاموا.

وعن مجاهد: أنهم قالوا حين أحيوا: سبحانك ربنا وبحمدك، لا إله إلا أنت. فرجعوا إلى قومهم أحياء، يعرفون أنهم كانوا موتى، سحنة الموت على وجوههم، لا يلبسون ثوبًا إلا عاد دسمًا مثل الكفن، حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم. ثم مات حزقيل، ولم تذكر مدته في بني إسرائيل.

وقيل: كانوا قوم حزقيل، فلما أن ماتوا بكى حزقيل، وقال: يا رب، كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك، فبقيت وحيدًا! فقال الله: أتحب أن أحييهم؟ قال: نعم. قال: فإني قد جعلت حياتهم إليك. فقال حزقيل: احيوا بإذن الله تعالى، فعاشوا[1].

وعن عبدالله بن عامر بن ربيعة: أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج إلى الشام، فلما جاء سرغ بلغه أن الوباء قد وقع بالشام، فأخبره عبدالرحمن ابن عوف أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا سمعتم به بأرض

(١). انظر: تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير الطبري أبوجعفر، دار الكتب العلمية، بيروت (١/٢٧١-٢٧٢). والكامل في التاريخ: أبوالحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م (١/١٨٢-١٨٣).

فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا، فرارًا منه»[1]، فرجع عمر من سرغ.

قال الكلبي ومقاتل والضحاك: إنما فروا من الجهاد، وذلك أن ملكًا من ملوك بني إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى قتال عدوهم، فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت، فاعتلوا وقالوا لملكهم: إن الأرض التي تأتيها بها الوباء، فلا نأتيها حتى ينقطع منها الوباء، فأرسل الله عليهم الموت، فخرجوا من ديارهم فرارًا من الموت، فلما رأى الملك ذلك قال: اللهم رب يعقوب وإله موسى قد ترى معصية عبادك، فأرهم آية في أنفسهم، حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار منك، فلما خرجوا قال لهم الله تعالى: (موتوا)، عقوبة لهم، فماتوا جميعًا، وماتت دوابهم كموت رجل واحد، فأتى عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا، وأروحت أجسادهم، فخرج إليهم الناس فعجزوا عن دفنهم، فحظروا عليهم حظيرة دون السباع، وتركوهم فيها[2].

قال القاضي أبو محمد: وهذا القصص كله لين الأسانيد، وإنما اللازم من الآية: أن الله تعالى أخبر نبيه محمدًا ﷺ أخبارًا في عبارة التنبيه والتوقيف، عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فرارًا من

(١). أخرجه البخاري (٤/١٧٥ رقم٣٤٧٣)، ومسلم (٤/١٧٣٧ رقم٢٢١٨).

(٢). انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي): محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، (١/٢٩٣-٢٩٤).

الموت، فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم، ليروا هم وكل من خلف بعدهم: أن الإماتة إنما هي بيد الله لا بيد غيره، فلا معنى لخوف خائف ولا اغترار مغتر، وجعل الله تعالى هذه الآية مقدمة بين يدي أمره المؤمنين من أمة محمد بالجهاد. هذا قول الطبري، وهو ظاهر رصف الآية، ولموردي القصص في هذه القصة زيادات اختصرتها لضعفها[1].

فأتت على ذلك مدة، وقد بليت أجسادهم، وعريت عظامهم، فمر عليهم نبي يقال له حزقيل بن بودى، ثالث خلفاء بني إسرائيل من بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذلك أن القيم بأمر بني إسرائيل كان بعد موسى يوشع بن نون، ثم كالب بن يوقنا ثم حزقيل، وكان يقال له ابن العجوز، لأن أمه كانت عجوزًا، فسألت الله الولد بعد ما كبرت وعقمت، فوهبه الله تعالى لها، قال الحسن ومقاتل: هو ذو الكفل، وسمي حزقيل ذا الكفل، لأنه تكفل بسبعين نبيًّا، وأنجاهم من القتل، فلما مر حزقيل على أولئك الموتى، وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم متعجبًا، فأوحى الله تعالى إليه: تريد أن أريك آية؟ قال نعم: فأحياهم الله وقيل: دعا حزقيل ربه أن يحييهم فأحياهم.

وقال مقاتل والكلبي: هم كانوا قوم حزقيل أحياهم الله بعد ثمانية أيام، وذلك أنه لما أصابهم ذلك خرج حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى

(١). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ (٣٢٨/١).

فبكى، وقال: يا رب كنت في قوم يحمدونك ويسبحونك ويقدسونك ويكبرونك ويهللونك، فبقيت وحيدًا لا قوم لي، فأوحى الله تعالى إليه: أني جعلت حياتهم إليك، قال حزقيل: احيوا بإذن الله فعاشوا.

قال مجاهد: إنهم قالوا حين أحيوا: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، لا إله إلا أنت. فرجعوا إلى قومهم وعاشوا دهرًا طويلًا، وسحنة الموت على وجوههم، لا يلبسون ثوبًا إلا عاد دسمًا مثل الكفن، حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وإنها لتوجد اليوم في ذلك السبط من اليهود تلك الريح، قال قتادة: مقتهم الله على فرارهم من الموت، فأماتهم عقوبة لهم، ثم بعثوا ليستوفوا مدة آجالهم، ولو جاءت آجالهم ما بعثوا، فذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، أي ألم تعلم بإعلامي إياك، وهو من رؤية القلب. ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ بعد موتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ قيل هو على العموم في حق الكافة في الدنيا، وقيل على الخصوص في حق المؤمنين ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:٢٤٣]، أما الكفار فلم يشكروا، وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية الشكر[(١)].

(١). انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي): محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، (١/٢٩٣-٢٩٤). ونهاية الأرب في فنون الأدب: أحمد بن عبدالوهاب بن محمد بن عبدالدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق =

العبر والعظات المستفادة

١. قدرة الله في الموت والحياة.

٢. استجابة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للدعاء ومعرفته بخفايا النفوس.

٣. العقاب للمكذبين علىٰ الله واعتقادهم بنجاتهم من الموت يبين عظمة رب العالمين.

٤. الموت لمن يخاف من الموت هو النتيجة للمتكبرين والجاحدين لنعم الله.

= القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ (١٤/٦-٩).